

التنوع اللهجي في العربية الفصحى تجديد أم تهديد؟

Dialectal Diversity in Classical Arabic: Renewal or Threat?

سميرة رفاص*

جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس
(الجزائر)

resamira77@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/07

تاريخ الاستلام: 2026/02/01

ملخص:

إن الحديث عن موضوع التنوع اللهجي في علاقته بالفصحى، مثير للجدل والنقاش، ومتشعب من حيث مرجعياته الأنثروبولوجية والثقافية والاجتماعية، وأسبابه متعددة. ونهدف من خلال هذا البحث، إلى رصد أثر التعدد اللهجي على الفصحى من خلال وقفنا على أسباب هذا التنوع في فترة ما قبل الإسلام وبعده، وأثره على بنية اللغة العربية، وتشكيلاتها الإفرادية والتركيبية، منطلقين من إشكالية رئيسة وهي: كيف أثر التنوع اللهجي على العربية الفصحى؟ وهل ساهم في ثرائها وغناها مما زادها قوة وتماسكا أم أنه حولها إلى لغة رديئة ركيكة مهددة بالزوال؟

ولالإجابة عن هذه الإشكاليات، عرضنا أهم التحولات التي مرت بها العربية في معاشتها لبقية اللهجات، منطلقين من معطيات تاريخية واجتماعية وثقافية، ومعتمدين على تحليل أهم الظواهر اللغوية وتعليلها.
الكلمات المفتاحية: التنوع، اللهجة، العربية، الفصحى، تجديد، تهديد.

Abstract:

The discussion of the topic of dialectal diversity in relation to Classical Arabic is controversial and subject to debate, and it is multifaceted in terms of its anthropological, cultural, and social references, with numerous causes. Through this research, we aim to monitor the impact of dialectal multiplicity on Classical Arabic by examining the causes of this diversity in the pre-Islamic and post-Islamic periods, and its effect on the structure of the Arabic language and its lexical and syntactic formations. We proceed from a central problematic: How did dialectal diversity affect Classical Arabic? Did it contribute to its

richness and wealth, thereby strengthening its cohesion, or did it turn it into a weak, poorly constructed language threatened with extinction?

. مقدمة:

العربية لغة الدين والعلوم والفنون، لغة البدو والحضر، لغة القبائل والشعوب والأمم. بقيت شامخة وصامدة أزمنة عديدة، أمام الصراعات الاجتماعية، والتحويلات الثقافية واللغوية. لغة طيبة مطوعة، تتسع لكل ما هو جديد، تكيفه وتكيف معه، وتحافظ على كل ما هو أصيل وتراثي.

تتميز اللغة العربية بخصائص صوتية وصرفية ونحوية، مكنتها من منافسة اللغات التي زاحمتها وتحديثها في فترة ما قبل الإسلام وبعده - ونقول لغات كون هذه اللهجات لم تكن تعني العامة بالمفهوم الحديث، وإنما هي لغات اختصت بها كل قبيلة عن الأخرى وتميزت بها - فكتب للعربية الانتصار، والغلبة، والانتشار، والبقاء.

في العربية

تنتمي العربية إلى الفصيلة السامية نسبة إلى سام بن نوح¹، وقد نشأت في بلاد نجد والحجاز، وتشير الدراسات إلى قسمين من اللغة العربية؛ العربية البائدة والتي يطلق عليها عربية النقوش، وقد تكلمت بها عشائر عربية تسكن شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين، ولشدة احتكاكهم باللغات الآرامية، وبعدهم عن موطنهم الأصلي، فقدت العربية كثيرا من مقوماتها، ثم اندثرت وبادت قبل الإسلام.

وتركز هذه الدراسة على القسم الثاني من العربية، وهو العربية الباقية، و (هي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف. وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية).²

انتشرت العربية وتوسعت رقعتها، فجرت على الألسن، وخاطبت العقول، وترجمت حياة المتكلمين بها، ونقلت خبراتهم وتجاربهم، واحتوت أفكارهم وعواطفهم، لقد أصبحت لغة الخطابة، والأدب، والدين، والمعاملات على جميع الأصعدة، وفي كل مجالات الحياة. وقد (انقسم المتكلمون بهذه اللغة، منذ أقدم عصورهم إلى قبائل شتى، وطوائف قديدا، تختلف كل طائفة منها عما عداها في بيئتها الجغرافية، وما يكتنفها من ظروف طبيعية واجتماعية).³ واختلافات فكرية وثقافية، وتنوعات لغوية، وتلوينات نطقية.

ومن قوانين اللغات، أن اللغة إذا انتشرت في أنحاء المعمورة، وتداولها مجموعات مختلفة من الناطقين، يستحال أن تظل محافظة على أصلها الأول - ومن نتائج الاستعمال اللغوي، ثنائية الأصل والفرع - فتتفرع اللغة إلى

لهجات يختلف بعضها عن بعض في الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. و(لم تفلت اللغة العربية - وما كان يمكن أن تفلت - من هذا القانون العام. فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات، واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات)⁴

اللهجة، بين الاصطلاح والاستعمال

يقول ابن فارس في المقاييس: (وقولهم: هو فصيح اللهجة. واللهجة: اللسان، بما ينطق به من الكلام. وسميت لهجة لأن كلا يلهج بلغته وكلامه)⁵. وعليه، فإن اللهجة لا تدل على العامية بمفهومها الحديث، وإنما هي لسان كل قوم ولغتهم. وقد ورد في المعاجم وكتب اللغويين، لغة تميم ولغة طيء وما ما شابه.

وعرف إبراهيم أنيس اللهجة قائلاً: (اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات ببعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات)⁶. يشير صاحب النص إلى أن اللهجة هي فرع من أصل، وأن الفرع مهما اختلف عن الأصل يبقى مشدوداً إليه من خلال صفات متماثلة تربطهما ببعضهما، لتسهيل عملية التواصل بين الناطقين بهذه الفروع.

ويوضح المؤلف العلاقة بين مصطلحي لهجة ولغة فيقول: (وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة. فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص. فاللغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها. وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات)⁷

إن القدماء لم يوظفوا مصطلح (لهجة) للتعبير عن الاختلاف اللغوي بين القبائل، وعبروا عنها بمصطلح (لغة)، وهو ما أكدده عبده الراجحي بقوله: (لكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح (اللهجة) على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث، بل إنهم لم يستعملوه قط في كتبهم، وغاية ما وجدناه عندهم ما تردده معاجمهم من أن اللهجة هي اللسان أو طرفه أو جرس الكلام. ولهجة فلان لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. وإنما كانوا يطلقون على اللهجة لغة أو لغية)⁸

وتضمنت معظم كتبهم مصطلح (لغة) ولا وجود لمصطلح (لهجة) في عناوينهم، نذكر منها:

اللغات ليونس بن حبيب (ت183)

اللغات للفراء (ت207)

اللغات لأبي عبيدة (ت210)

اللغات للأصمعي (ت213)

اللغات لأبي زيد (ت215)

اللغات لابن دريد (ت321)⁹

صراع اللهجات

يقول ابن جني: (واعلم أن العرب مختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره، من يخف ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة. ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت في كلامه)¹⁰ وهو ما لمسناه في تمازج لهجات القبائل واشتباكها مع بعضها، نظرا لاحتكاك القبائل مع بعضها في الأسواق وأثناء الحج، ونتج عن هذا الاحتكاك، صراعا داخليا من أجل البقاء، والسعي إلى سيطرة لهجة على الأخرى، غير أن لهجة قريش تغلبت على باقي اللهجات، وأصبحت لغة المحادثة والأدب والخطابة والبلاغة، بل ولغة المعاملات الرسمية أيضا.

وترجع غلبة لهجة قريش وانتصارها على جميع اللهجات إلى عدة عوامل أهمها:

العامل الديني: لقد كانت القبائل في الجاهلية يحجون إلى البيت، ويزورون أصنامهم، ويؤدون مناسكهم.

العامل الاقتصادي: لقد كان كبار التجار من قريش، يتحكمون في التجارة، ويتنقلون بها في الجزيرة العربية، من الشام شمالا إلى أقصى اليمن جنوبا.

العامل السياسي: لقد تحقق لقريش النفوذ السياسي القوي بسبب تمكنها الديني والاقتصادي، وموقع بلادها.

العامل اللغوي: تعد لهجة قريش من أغنى اللهجات العربية وأغزرها من حيث المباني والتراكيب، وأقدرها على التعبير في مختلف الفنون والأجناس الأدبية، شعرا ونثرا. وشهد لها اللغويون بقولهم: (إن قريشا ارتفعت في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوزان وتضجع قيس وعجرفية ضبة وتلتله بهراء.....)¹¹ مما يدل على أن لهجة قريش امتلكت خصائص لغوية راقية جعلتها تتميز وتتفوق على غيرها من اللهجات، حتى أصبح لها

الحظ الأوفر، والنسبة الأكبر في تشكيل العربية الفصحى، ونالت شرف نزول القرآن الكريم بها، مما زادها قوة، وغنى، وسعة في مبانيها وصورها وتراكيبها.

احتكت لهجة قريش مع بقية اللهجات، فتأثرت بها وأثرت فيها، وكان لهذا التأثير إيجابياته وسلبياته، نذكرها فيما يأتي:

- تشبع لهجة قريش بمجموعة كبيرة من المفردات والأساليب في المجالات التي كانت تفتقر إليها، فازدادت مرونة وسعة في التعبير، واكتمل النقص لديها.

- انتقال الكثير من المفردات والصيغ التي لها نظائر في لهجة قريش، نظرا لغزارة مفرداتها، وكثرة مترادفاتها، وأوزانها وصيغها.

- على الرغم من أن لهجة قريش أصبحت لغة الشعر والخطابة والنثر والمحادثة إلا أن بعض القرشيين أصاب ألسنتهم بعض التحريف على مستوى الأصوات، والقواعد، وبنية الكلمات وأوزانها.¹²، وهذا التحريف إنما هو ضرب من التنوعات النطقية والصور الصوتية، سببها تداخل اللغات وتمازجها مع بعضها في الاستعمال.

التنوعات النطقية

نتج عن تداخل اللغات مجموعة من الاختلافات الصوتية والصرفية والنحوية، استعملت فيها العرب الإبدال والقلب في الصوامت والصوائت، كما لجأت إلى الترخيم حيناً، وإلى الحذف حيناً آخر، وكلها عادات نطقية وتلوينات صوتية تهدف إلى تحقيق الخفة في النطق، والاقتصاد في الجهد. و(كان العرب يترسلون أو يخدمون في منطقهم كيفما اتفق لهم، لا يراعون أكثر من تكيف الصوت دون تكيف الحروف التي هي مادة الصوت إلا أن يتفق من هذه قطع في كلامهم تجيء بطبيعة الغرض الذي تكون فيه، أو بما تعمل لها المتكلم على نمط من النظم الموسيقي)¹³.

ومن ثمة فإن العرب كانت تتمرد على القواعد في أدائها وتخضعها لحاجاتها التواصلية، وانفعالاتها، وعواطفها. وقد قيل في اللغة من قبل بأنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)¹⁴ واحتياجاتهم وأفكارهم ومشاعرهم، ذلك أن (مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت، بما يخرج فيه مداً أو غنة أو لنا أو شدة)¹⁵ وغيرها من الصور الصوتية والتنوعات النطقية التي نتج عنها عدة لهجات كنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوزان، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء، وكلها لهجات ولغات وتلوينات.

أ- بين الصوامت

✓ الاستنطاء: هو (جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، ومثاله: أنطى بدلا من أعطى. والاستنطاء ليس ظاهرة عامة في إبدال كل عين ساكنة تجاور طاء، بل هو خاص بكلمة أعطى وحدها، وروي أن قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار واليمن كانت تعرف الاستنطاء)¹⁶

✓ الشنشنة: هي جعل الكاف شيئا مطلقا نحو قولهم: "لبيش اللهم لبيش" في لبك. وهي لغة أهل اليمن.¹⁷

✓ الطمطممانية: هي إبدال لام التعريف ميما، ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام نطق بهذه الظاهرة في جواب لوفد اليمن في قوله: "ليس من امبرامصيام في امسفر" وتنسب الطمطممانية إلى اليمن والأزد....¹⁸

✓ العجعة: هي قلب الياء جيما، ونسبها سيبويه لبني سعد في قولهم: هذا تميمج أي هذا تميمي.¹⁹

✓ العننة: هي إبدال الهمزة عينا، وقد جعل بعض اللغويين هذه الظاهرة خاصة بأن و أن، نحو "أشهد عنك رسول الله" وهي عننة تميم.²⁰

✓ الفحفحة: وهي إبدال الحاء عينا، وقرئ بها قوله تعالى: "ليسجننه حتى حين" فقرأت حتى، عتي.²¹

✓ الوتم: إبدال السين تاء في نحو النات أي الناس²²

✓ الكسكسة: هي إلحاق الكاف المكسورة سينا أو إبدال الكاف سينا نحو أعطيتكس .. وهي لغة بكر وهوزان

✓ الكشكشة: هي إلحاق الكاف المكسورة شيئا، أو إبدال الكاف شيئا نحو قولهم: أعطيتكش وتنسب إلى مضر وربيعة.

ب- بين الصوائت:

✓ التثلة: وهي كسر أول حرف المضارعة نحو نعلم وتعلم بدلا من الفتح، وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة بجرء، و إلى غيرها من القبائل مثل قيس و تميم وأسد وربيعة.²³

✓ الوكم: كسر الكاف من كم إذا سبقت بكسرة أو ياء في قولهم: بكم وعليكم²⁴

✓ الوهم: كسر الهاء من "هم" مطلقا في منهم وعنهم وبينهم...²⁵

✓ ضم هاء (أيها) في لغة بني أسد.

ج- الترقيم: ومن أمثلته:

✓ التضجّع: وهو التباطؤ والتراخي في الكلام، أو التقعد فيه، كما يفهم من المعنى اللغوي لكلمة

التضجع.²⁶

✓ القطعة: هي نوع من الحذف يقرب من الترقيم كقولهم: يا أبا الحك يريدون بها أبا الحكم وهي

لغة طيء.²⁷

إن هذه التنوعات النطقية هي فروع من أصول، فرضها الاستعمال وعادات في النطق، وقد تحدث سيويه عن الأصول والفروع في تعداده لحروف العربية فقال: (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا).²⁸ ثم أضاف موضحا: (وتكون خمسة وثلاثين بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة. وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والصاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء. وهذه الحروف التي تمتتها اثنين وأربعين جيدها ورديتها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة)²⁹. وهذه الفروع هي ما اصطلح عليها باللهجات أو اللغات التي قسمها إلى مجموعتين، وصف الأولى منها بالاستحسان في قراءة القرآن والأشعار، واستهجن الثانية لأنها تؤدي إلى اللحن والتحريف.

التنوعات الإفرادية والتركيبية³⁰

إن تأثير لهجة قريش بغيرها من اللهجات وتأثيرها فيها، لم يخص المستوى الصوتي فقط بل تعداه إلى المستوى الإفرادي والتركيبى أيضا، ومن مظاهر هذا التأثير ما يأتي:

- ضم هاء (أيها) في لغة بني أسد.

- التثنية: وهي كسر أول حرف المضارعة نحو نَعْلَم وتَعْلَم بدلا من الفتح، وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة بھراء، و إلى غيرها من القبائل مثل قيس وتميم وأسد وربيعة..
- إبقاء ألف هذان وهاتان في حالتي النصب والجر في لغة بني الحارث بن كعب، وبها قرئ (إن هذان لساحران)³¹
- الطمطمانيّة: هي إبدال لام التعريف ميمًا، ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام نطق بهذه الظاهرة في جواب لوفد اليمن في قوله: "ليس من امبرامصيام في امسفر" وتنسب الطمطمانيّة إلى اليمن والأزد....
- الوقوف على المنون بالسكون في حالة النصب في لهجة ربيعة فيقال: "رأيت محمدًا".
- الاختلاف في صيغة الجمع، فجمع الأسير مثلا أسرى عند بعضهم وأسارى عند آخرين.
- إشباع الضمة في عين المضارع المضموم حتى يتولد عنها واوا في مثل: أنظور بدلا من أنظر.

من خصائص العربية الفصحى

تشترك اللغة العربية مع أخواتها السامية في كثير من الخصائص اللغوية، وتتفوق عليها في أخرى؛ وأهم ما ميز العربية أنها احتفظت بجزء كبير من أساسيات اللسان السامي الأول، في حين تجردت منه أخواتها، فتفردت عنهم بخصائص وميزات أهمها:

1- احتفاظها بالأصوات السامية الأصلية، ثم جلبت إليها أصواتا موجودة في غيرها، فأضحت لغة أصيلة ومتجددة.

2- العربية أكثر اللغات دقة في قواعد النحو والصرف، من حيث نظامها الصرفي، ودلالاتها النحوية، وخاصية الإعراب التي تفردت بها.

3- تتميز اللغة العربية بثرائها اللغوي على مستوى الكلمات والمفردات، وهو ما أكده أحمد محمد قدور بقوله: (من أهم ما تمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات. فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان الأول، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها)³²، وأمام هذا الثراء المعجمي والتنوع الدلالي، وجد الدارسون أنفسهم أمام جملة لا متناهية من الألفاظ المترادفة، والكلمات المتضادة، والمفردات المشتركة لفظيا.

ومن ذلك أن العرب أحصت (للأسد خمسمائة اسم، وللثعبان مائتا اسم. وكتب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط كتابا في أسماء العسل فذكر له أكثر من ثمانين اسما، وقرر مع ذلك أنه لم يستوعبها جميعها. ويرى

الفيروزابادي أنه يوجد للسيف في العربية ألف اسم على الأقل، ويقرر آخرون أنه يوجد أكثر من أربعمئة اسم للداهية، ويوجد لكل من المطر والريح والنور والظلام والناقة والحجر والماء والبئر أسماء تبلغ عشرين في بعضها وتصل إلى ثلاثمئة في بعضها الآخر³³.

ويرجع الدارسون كثرة مفردات العربية ومترادفاتهما إلى الأسباب الآتية:

1- إن انتقال الكثير من المفردات والصيغ الجديدة إلى لهجة قريش، جعلها تتزاحم مع نظائرها التي تحمل المعاني والمدلولات نفسها أو ما يقاربها، نظرا لما تتميز به هذه اللهجة من غزارة مفرداتها، وكثرة مترادفاتهما، وأوزانها وصيغها.

2- إن عملية جمع مفردات اللغة لم تقتصر على قبيلة قريش فقط بل شملت قبائل أخرى كثيرة، ولا سيما عرب البادية لفصاحة ألسنتهم، مما وسع من المفردات والمترادفات. وكان ممن نقلت العربية عنهم هم قبائل قيس وقيم وأسد وهذيل.³⁴ بالإضافة إلى الآثار العربية من الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث الشريف.

3- تدوين المهجور من الكلمات.

4- يرى الدارسون في تحليلهم لظاهرة الترادف، أن الأسماء الكثيرة التي يضعونها للاسم الواحد، هي في الحقيقة أوصاف مثل: الباسل، والأصيد للأسد، والحسام، والقاطع، والهندي للسيف. وقد أثارت قضية الترادف جدلا واسعا لدى العلماء بين مثبت لها ومنكر.

المعرب والدخيل

الدخيل هو (ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية، سواء استعملته العرب الفصحاء أو لم تستعمله)³⁵، ويعد احتكاك القبائل الناطقة بالعربية بالقبائل الأخرى اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، سببا رئيسيا لدخول هذه المفردات، مما نتج عنه تطورا حضاريا مختلف مناحي الحياة، وخاصة في الآداب والعلوم.

ويورد السيوطي وجوها لمعرفة الاسم الأعجمي، نجملها فيما يأتي:³⁶

- النقل.

- خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو أبريسم.

- أن يكون أوله نون ثم راء نحو نرجس.

- آخره زاي بعد دال نحو مهندز.

- أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان.

- أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق.

- أن يكون خماسيا ورباعيا عاريا من حروف الذلاقة.

وتسرب للعربية كثيرا من المفردات الفارسية والسريانية واليونانية والتركية والكردية والقبطية والبربرية والقوطية، عن طريق الفتوحات الإسلامية، وقد ظهرت آثار هذه اللغات على ألسنة العرب الفصحاء وخاصة الفارسية والسريانية مثل إنجيل، أسطوانة، أسقف، ناموس، إسفنج...³⁷

أما المعرب فهو ما (استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها)³⁸، من أمثلته: الورد والنجس والياسمين والمسك والتوت والبادنجان والطاجن والإبريق والرصاص...، وكادت تغطي على نظائرها العربية في الاستعمال.³⁹ بينما نسجل غلبة شيوع المرادف العربي في مفردات أخرى مثل: البوصى والجردقة والقيروان والسجنجل والموزج والقومس ونظائرها في العربية هي السفينة والرغيف والجماعة من الخيل والمرأة والخف والأمير.⁴⁰

وقد تحدث أبو منصور الثعالبي في كتابه فقه اللغة عن هذا التقابل بين المفردات بين العربية ولغات أخرى في باب سماه (معرفة توافق اللغات)، و وضع فصلا تحت عنوان: الأسماء الفارسية المعربة، ذكر فيه أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لغة واحدة هي: التنور، الخمير، الزمان، الدين، الكنز، الدرهم، الدينار.⁴¹

آثار التداخل اللغوي

لقد امتزجت المفردات الدخيلة على العربية بآلسنة الناطقين بها، ونتج عن هذا التمازج، تحولات نطقية وتبدلات صوتية فرضتها عادات نطقية، وميل الناطق العربي إلى الخفة والتخفيف في الكلام بغية تحقيق هدفين أساسيين هما: الاقتصاد في الجهد العضلي، وتحقيق الانسجام الصوتي.⁴² وتجلى هذا التخفيف في عدة ظواهر كالحذف والإبدال.

المستوى الصوتي

ومن مظاهر الإبدال، استبدالهم أصواتا فارسية كالجيم الحالية من التعطيش، والباء المهموسة (p)، والفاء المجهورة (v) ⁴³ بأصوات عربية، كإبدالهم الصوت الذي بين الجيم والكاف جيما عربية، وأحيانا كاف، وأحيانا

أخرى قاف. في مثل: الكريج والقريج والقربق وهو الحانوت. كما نطقوا الصوت الذي بين الفاء والباء، باء، وأحيانا فاء، فقالوا: فرند السيف وبرنده. "44".

وكذلك إبدال الشين سينا في مثل إسماعيل وسراويل، والهاء جيما في مثل كوسج وأصلها كوسه. وكما ذهبوا إلى تغيير أوزان بعض الأصوات قياسا على أوزان العربية، بينما بقي بعضها مخالفا للاوزان العربية مثل خراسان، ابرسيم، جبريل.

ويشيد صبحي الصالح بتعريب الحروف الاعجية بقوله: (والعربية على اتساع مدرجها الصوتي ازدادت سعة على سعة يوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتا تقاربها مخرجا أو صفة، إذ عربت هذه الأصوات الدخيلة، وحددت لها مواقعها من جهاز النطق... فقطع بذلك الشوط الأول من التعريب؛ ألا وهو تعريب المادة الصوتية وتطويعها لأصوات العربية) "45" ويضيف قائلا: (ولا ريب في أن هذا الشوط الأول من تعريب الأصوات هو أهم الأشواط؛ فمن بعده لن يكون عسيرا أن تعرب الكلمات الدالة على مفهوم حضاري معين، ولا سيما إذا كانت غير مألوفة للعرب أو غير شائعة بينهم) "46" فالأصوات هي المادة الأولية التي تكون المفردات، وتحدد معناها.

المستوى المعجمي

لقد تشبعت العربية بمفردات جديدة لم يعرفها العرب في حياتهم، ولم يعتادوا على استعمالها، فزاد ثراء وسعة في التعبير والتواصل والاتصال في مختلف المجالات. ومن الفارسية انتقلت إليها مفردات دلت على الآنية، والمعادن، والأحجار الكريمة، وألوان الخبز والطهي، والرياحين، والمنتجات الزراعية، والصناعية، والشؤون الحربية التي اشتهر بها الفرس مثل: الإبريق والطست والقصة والسندس والاستبرق والديباج والياقوت والبلور والسميد والكعك والفلفل والكاراويا والقرفة والعنبر والجوز واللوز والدولاب والخندق والعسكر..... "47"

وأخذت عن اليونانية أسماء بعض آلات الرصد والجراحة، ومصطلحات علمية وفلسفية. وأسماء بعض المعادن، والوظائف، والمنشآت المعمارية وأدوات البناء، والموازين، والأمتعة، كالقبرس والبطريق والقيطون والقنطرة والفردوس والقراميد والقسطاس والسجنجل والترياق..... "48" وعن السريانية والعبرية، اليم والطور والربانيون وطه وإبراهيم وإسماعيل، وعن الحبشية: المشكاة والهرج والمنبر والأرائك.

ومن آثار تداخل العربية مع غيرها من اللغات، أبياتا شعرية أوردها السيوطي في باب معرفة تداخل اللغات، نقلها عن ابن دريد في الجمهرة، فقال: (البكا يمد ويقصر، فمن مده أخرجه مخرج الضغاء والرخاء، ومن قصره أخرجه مخرج الأفة وما أشبهها مثل الضنى ونحوه. وقال قوم من أهل اللغة بل هما لغتان صحيحتان، وأنشدوا بيت حسان:

بكت عيني وحق لها بكاهما وما يغني البكاء ولا العويل "49"

ويضيف مستشهدا برأي ابن جني في خصائصه في باب (إذا اجتمع في الكلام الفصحى لغتان فصاعدا) إذ يقول:

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش إلا أن عيونه سال واديها

فقال: نحوه بالإشباع، وعيونه بالإسكان. "50"

ويعلل ابن جني ذلك بأن اللفظتين إذا تساوتا في الاستعمال، فيعني ذلك أن القبيلة تواضعت على ذلك لضرورة شعرية. (ويجوز أن تكون لغته في الأصل إحداها ثم إنه استفاد من قبيلة أخرى، وطال به عهده وكثر استعماله لها، فلحقت لطول المدة واتساع الاستعمال بلغته الأولى. وإن كانت إحدى اللفظتين أكثر في كلامه من الأخرى، فأخلق الأمر به أن تكون القليلة الاستعمال هي الطارئة عليه، والكثيرة هي الأولى الأصلية) "51"

ومن أمثلة التداخل اللغوي ما ورد عن الأصمعي في قوله: (اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما: بالصاد، وقال الآخر بالسين، فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر. وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل) "52" والتمازج والتلاقح.

ومن كل ما سبق، نخلص إلى أن اقتراض العربية من غيرها، ظاهرة صحية وإيجابية، أثبتت من خلالها بأنها لغة متجددة ومتطورة، وردت على من اتهمها بأنها (مقصورة على الإعراب، محبوسة عن التعريب، ويزعم أنها بصيغها وأنواع اشتقاقها وحدها أعربت عن خصائصها الذاتية، وأنها إن أدخلت على نفسها بالتعريب مصطلحات الحضارة، شوهت محاسنها وفقدت خصائصها وأنكرت نفسها بنفسها، فليس يريد للعربية إلا الموت، وليس يعيش بعربيته إلا في بروج من العاج بناها له خيال سقيم) "53"، هكذا أشاد صبحي صالح بانفتاح العربية على غيرها من اللغات، وقابليتها لاستيعاب مفردات أجنبية عليها، تتكيف معها وتألفها، فتحولها من مفردات غريبة عنها إلى كونها مألوفة ومستعملة لدى المتكلمين بها.

الهوامش:

¹ - ينظر سميرة رفاس، مباحث أساسية في فقه اللغة العربية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013، 131.

² - عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، طبعة 07 مزينة ومنقحة، 1972، 107.

- ³ - المرجع نفسه، 108.
- ⁴ - نفسه.
- ⁵ - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، 215/5.
- ⁶ - ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، 1992، 16.
- ⁷ - نفسه.
- ⁸ - عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1999، 59. وينظر أيضا عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 110-111.
- ⁹ - ينظر عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، 60. وعبده الراجحي، نفسه.
- ¹⁰ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1952، 383/1.
- ¹¹ - المرجع نفسه، 12-11/2.
- ¹² - ينظر أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر دمشق، ط3، 2003، 137.
- ¹³ - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003، 151.
- ¹⁴ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، 33/1.
- ¹⁵ - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية 153.
- ¹⁶ - أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، 138.
- ¹⁷ - ينظر، المرجع نفسه، 139.
- ¹⁸ - ينظر، المرجع نفسه، 140-139.
- ¹⁹ - ينظر، المرجع نفسه، 140.
- ²⁰ - ينظر، المرجع نفسه، 141.
- ²¹ - ينظر، المرجع نفسه، 142.
- ²² - ينظر، المرجع نفسه 143-144.
- ²³ - ينظر، المرجع نفسه، 139.
- ²⁴ - ينظر، المرجع نفسه، 144.
- ²⁵ - ينظر، المرجع نفسه، 144.
- ²⁶ - ينظر، المرجع نفسه، 138.
- ²⁷ - ينظر، المرجع نفسه، 142.
- ²⁸ - أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 431/4.
- ²⁹ - نفسه، 432/4.
- ³⁰ - ينظر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الجيل، بيروت، لبنان، 255، 256. وينظر أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، 140-139.

- 31 - الآية 63 من سورة طه.
- 32 - أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، 167.
- 33 - نفسه.
- 34 - ينظر المرجع نفسه، 170.
- 35 - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، 199.
- 36 - ينظر جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 270/1.
- 37 - ينظر المزهري علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، 201.
- 38 - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 268/1.
- 39 - ينظر علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، 202.
- 40 - نفسه، 203.
- 41 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 329.
- 42 - ينظر سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، تحليل وتعليل، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014، 152.
- 43 - ينظر علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، 319.
- 44 - ينظر علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، 204.
- 45 - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط11، 1986، 319.
- 46 - نفسه، 319، 320.
- 47 - ينظر علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، 206.
- 48 - نفسه، 207.
- 49 - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 264/1.
- 50 - نفسه، 262/1.
- 51 - نفسه، 262/1.
- 52 - نفسه، 263/1.
- 53 - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، 315.

قائمة المصادر والمراجع:

المصحف الشريف برواية ورش عن نافع.

- 1- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت.
- 2- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1952.
- 3- أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، لبنان.
- 4- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- 5- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 6- عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نخضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، طبعة 07 مزيّدة ومنقّحة، 1972.
- 7- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط8، 1992.
- 8- أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر دمشق، ط3، 2003.
- 9- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- 10- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 110-111 .
- 11- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط11، 1986.
- 12- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003.
- 13- سميرة رفاص، مباحث أساسية في فقه اللغة العربية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013.
- 14- سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، تحليل وتعليل، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014.